

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد

مرحباً بكم جميعاً في هذه المحاضرة التي هي بعنوان تنوع دلائل النبوة وتكاملها

وهذا العنوان سأتناول الحديث عنه فيما يحقق المراد من التفاصيل المتعلقة به في عدد من المسائل

المسألة الأولى : في معنى هذا العنوان

المقصود بالعنوان تنوع دلائل النبوة وتكاملها أن الأدلة التي دلت على صدق نبوة النبي صلى الله عليه

وسلم وأنه رسول من عند الله أدلة كثيرة جداً ويمكن ضم هذه الأدلة إلى مجموعات بحسب الاشتراك

بينها في النوع وهذه المجموعات كل مجموعة نسميها نوع من أنواع الأدلة

فعندنا مثلاً أدلة كثيرة تثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر أو حدث عن أشياء من أمور الغيب

ووقعت هذه الأشياء التي حدث بها أو أخبر بها

هذه كلها يمكن أن نضمها إلى مجموعة واحدة نسميها نوع الأخبار الغيبية أي إن من أنواع أدلة النبوة

الأخبار التي حدث فيها النبي صلى الله عليه وسلم عن أمر من أمور الغيب

أيضاً عندنا مجموعة كبيرة من الأدلة الدالة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في ذاته والدالة على

نزاهته وكمال أخلاقه وأنه لا يكذب وأنه لا يقع في الأمور التي تتنافى مع كمال الصدق وتتمام العدل وهذا

أيضاً له أثر مهم وأساس في معرفة صدق النبوة لأن النبوة عبارة عن خبر أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم يعني هو يخبر بأنه يأتيه الخبر وهذا الخبر يشترط لقبوله أن يكون المخبر صادقاً

إذن هذا نوع آخر وأيضاً عندنا أنواع أخرى وأفراد كثيرة تدل على وقوع المعجزات منه صلى الله عليه وسلم أو الآيات من نحو تكثير الماء وتكثير الطعام واجتماع السحاب ونزول المطر في نفس اللحظة التي رفع فيه يديه من دون أن يكون في السماء قرعة من سحاب . . . كالح من الأشياء التي تصنف أو عرفت بعد ذلك بقضية المعجزات ويمكن أن تسمى بالآيات كذلك، هذه أيضاً أفراد كثيرة تجمع في نوع

فالشاهد أن المراد بتنوع دلائل النبوة وتكاملها أن الأفراد الكثيرة من الأدلة تضم إلى مجموعات بحسب اشتراكها في المعنى وهذه المجموعات تسمى أنواع، والتكامل معناه أن ننظر إلى أدلة النبوة باعتبار مجموع هذه الأنواع لا باعتبار فرد واحد من أفراد الأدلة

المسألة الثانية

في أهمية هذا الموضوع وتكمن أهمية هذا الموضوع في أن من يدركه إدراكاً جيداً ثم يحسن البيان عنه ويفصح في التعبير به فإنه يكون قاطعاً لشك من يشك في النبوة إذا كان باحثاً عن الحق لأن الحاصل من الشاكن والحاصل من بعض المناقشين الذين لا يدركون هذا التنوع والتكامل أنهم يستغرقون في دليل من الأدلة يستغرقون في فرد من الأفراد أدلة الأنواع أو يستغرقون في نوع من أنواع الأدلة الذي يضم مجموعة من الأفراد ولكنهم لا ينظرون إلى مجموعة الأنواع الأخرى

والسر في هذه القضية وأرجو أن يتم التركيز على هذه النقطة لأنها في غاية الأهمية

السر في هذه القضية أنك إذا نظرت إلى الاحتمالات العقلية التي يطرحها المشككون في النبوة من جهة

الإمكان العقلي في من هو أو ما وراء محمد صلى الله عليه وسلم هل هو كاذب أم مريض

أم مجنون أم كاهن أم شاعر أم رسول حقاً من عند الله سبحانه وتعالى ، كل شخص يمكن عقلاً أن يكون

فيه عدد من الخيارات ، فنحن إذاً أتينا بهذه الخيارات التي قيلت في الرسول صلى الله عليه وسلم إنه

كاذب أو إنه مخدوع يعني مريض ولكنه يظن نفسه نبياً . . وهكذا من الخيارات

اثنا بكل واحد من هذه الخيارات ثم تعالوا بمجموع أدلة النبوة وحاولوا أن تنزلوها على الخيارات

المطروحة

ولا يمكن أبداً إذا نظرنا إلى أدلة النبوة بمجموع الأنواع لا يمكن أن تنزل إلا على نبي أبداً فإذا نُزلت على

افتراض كونه كاذباً ستجد أن بعض الأنواع من الأدلة لا يمكن أن تنزل على الشخص الكاذب

إذا أردت أن تنزلها على المخدوع في بعض الأنواع من الأدلة لا يمكن أن تنزل على المخدوع إذا أردت أن

تنزلها على كاهن لا يمكن أن تجد في بعض أنواع الأدلة وأفرادها ما يمكن أن يكون به كاهناً

فالنظر في هذا التكامل هو الذي يعطي قطعاً زائداً عن القطع الذي يمكن أن يتحقق بالنظر في بعض أفراد

الأدلة وسيأتينا الحديث إن شاء الله أنه ليست هذه الطريقة الوحيدة لقطع الشك وإنما هناك طرق أقل

من ذلك بكثير ولكن هذا هو غاية الكمال والتمام الذي تنقطع به حجة المخالف

وعليه فالذي يضبط أدلة النبوة أفراداً وأنواعاً ثم يستحضر في نقاشه للمخالف يستحضر هذا التكامل والتنوع بين الأفراد والأنواع فإذا قال المخالف إن محمداً صلى الله عليه وسلم كذاب قلنا له طيب نحن عندنا هذا النوع وهذا النوع وهذا النوع وهذا النوع وتحت كل نوع عشرات الأفراد وفي بعضها مئات الأفراد فتعال أعطني هذا المجموع ونزله على الكاذب وأخبرني كيف يمكن أن يكون كاذباً من تجتمع فيه هذه الأنواع ثم مثل ذلك قله في باقي الخيارات ،لذلك فهذه قضية شريفة مهمة في غاية الأهمية

المسألة الثالثة

هي أن التكامل في أنواع الأدلة يمكن أن يُنظر إليه من منظار أبعد فنقول إن التنوع في دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم والتكامل فيه يمكن أن ننظر إليه في قضية أخرى فيها أدلة ،يعني في باب آخر عليه أدلة نستفيد من تلك الأدلة حتى في تثبيت قضية النبوة

وهذا الباب الآخر هو باب الوجود والكمال الإلهي يعني الإنسان حين يدرس أدلة وجود الله سبحانه وتعالى وأدلة كماله فإن العقل لا يحيل ولا يمنع وجود نبي يرسله الله سبحانه وتعالى ويختاره بل إننا نقول إن العقل لا يحيل ولا يمنع في حالة أثبتنا وجود الخالق سبحانه وتعالى، أما إذا أثبتنا الكمال الإلهي فإن العقل يقول بأهمية وضرورة وجود النبوة وليس فقط إمكان النبوة

الإمكان المراد به عدم الامتناع يعني تسأل المخالف ما الذي يمنع من أن يكون هناك نبوة أو من أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله ، أو هنا نتحدث عن النبوة بشكل عام ، ما الذي يمنع أن

يكون هناك نبوة ؟ ماذا يضيرك من قضية النبوة من جهة العقل إذا أثبت أن الخالق خالق السموات

والأرض ما الذي يمنع أن يختار رجلاً من عباده يبعثه رسولاً

(أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر)

ما العجب في ذلك ما الأمر في ذلك ؟ ثم نحن لا تثبت فقط وجود الخالق نحن تثبت كماله كمال عدله

كمال علمه كمال حكمته . . . الخ

فهذا الكمال يقتضي أن يبين الله لعباده ماذا يريد منهم وماذا أعد لهم ويحذرهم من ماذا ويدعوهم إلى

ماذا وثم الحكمة الإلهية في أن يرسل للناس بشراً ورسولاً يخبرهم وينذرهم ولا يدعو إلى عبادة نفسه إنما

يدعو لعبادة خالق السموات والأرض

فهنا أيضاً هذا مفيد في باب التكامل وربما يكون هذا مقدمة عامة في التكامل أو في باب النبوة قبل أن

ندخل في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق به خاصة

المسألة الرابعة في باب التنوع في دلائل النبوة وتكاملها:

أن التكامل لا ينحصر في أن يكون بين الأنواع أو بين مجموعات الأدلة وإنما التكامل في أدلة النبوة قد يكون

في أفراد الدليل الواحد، ويحقق التكامل في أفراد الدليل الواحد اليقين التام بصدق النبي صلى الله عليه

وسلم، أقول هذا قد يحصل على الأقل لكثير من الناس وهو عمل حقق صدق الإيمان بالنبوة والقطع بها

لطائفة من الناس

من أشهر من وقع لهم ذلك واستدل به هرقل وكما نعلم القصة المشهورة الصحيحة التي رواها أبو سفيان وحدث بها ابن عباس رضي الله عنهما وأبو سفيان وقف عليها ونقلت عن ابن عباس بأصح الأسانيد إليه وهو الحديث الذي في مقدمة صحيح البخاري وافق على إخرجه البخاري ومسلم ونقلته كتب السنة بشكل عام

هرقل ماذا فعل؟ هرقل أخذ يسأل أبا سفيان أسئلة يريد أن يكشف بها هل هذا الرجل صادق أم كاذب، فكما تعلمون سأله: هل كان من آبائه ملك؟ فقال: لا، هل كان يكذب؟ قال: لا، هل كان يغدر؟ قال: لا، من يتبعه؟ قال: ضعفاء الناس...

فسأله مجموعة من الأسئلة تدور في الجملة على قضية الكمال الأخلاقي والصدق والنزاهة فلما تحقق من الإجابات أثبت أن هذا الرجل وهو محمد صلى الله عليه وسلم هو رسول من عند الله سبحانه وتعالى

والعجيب أن بعض الانحرافات في باب النبوة داخل الإطار الإسلامي، أعني الانحراف ليس في باب أصل النبوة إنما في باب الاستدلال على النبوة، لأن الاستدلال على النبوة حصل فيه انحراف حتى داخل الطوائف الإسلامية، فبعضهم يحصر دائرة الاستدلال على النبوة في المعجزة فقط فيقول لا يمكن الاستدلال على النبوة إلا بالمعجزة، والعجيب أن بعضهم بناء على أن المعجزة هي الخارق للعادة وأن دلائل النبوة تنحصر في المعجزة أنكر كل الخوارق الأخرى التي هي الكهانة والسحر ونحو ذلك حتى الكرامات كرامات الأولياء، فانظروا كيف اللبس والإشكال في هذا التداخل بينما قضية النبوة ليست منحصرة

الشاهد أن من علماء المتكلمين من قال إن ما فعله هرقل لا يفيد أصلاً لا يفيد تحقق النبوة وإنما حصل له ذلك لكنه في الأصل لا يفيد وإنما النبوة تتحقق بالمعجزة وهذا كله من باب الإشكال..

من حق التكامل بين أفراد الدليل الواحد ثم بعد ذلك عمل على ضم المجموعات إلى بعضها الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله تعالى في كتابه العظيم النبأ العظيم ، حيث ذكر كثيراً من الشواهد المتعلقة بشخص الرسول صلى الله عليه وسلم والتي تدل على أنه لا يمكن أن يكذب على الله تعالى وأنه كان في نفسه نزيهاً صادقاً وأنه لم يكن يتعامل مع القرآن تعامل من يكذب أو يفترى أو يخادع أو يأخذه من مصدر

آخر

وبعد أن حشد أفراد الأدلة الكثيرة على هذا المعنى انتقل وهذا مجد ذاته يحقق صدق النبوة عند الناظر ثم بعد ذلك مارس مزيداً من التثبيت ومزيداً من القوة في الاستدلال فنظر إلى نوع آخر من أنواع الأدلة ومجموعة جديدة من مجموعات الأدلة وهو النظر في القرآن نفسه والنظر في بلاغة القرآن وإعجازه في ذاته فقال رحمه الله تعالى:

وتلك كلها دراسات خارجية إنما يسلكها رجل وقف معنا على طرف صالح من هذه الحياة النبوية وملابساتها، وكان مع ذلك سليم الفطرة يعرف الأشياء بمثلها ويهتدي إليها بأقرب أماراتها فمثل هذا سيرضى منا بهذا القدر ويكتفي به.

هذا ما يتعلق بالأحوال والقرائن التي ذكرها في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم ثم قال

وأما الذين لا يعلمون عن تلك الحياة النبوية إلا قليلاً وكثير ما هم الذين يريدون أن يأخذوا حجة القرآن
لنفسه من نفسه فهؤلاء لا غنى لهم أن تقدم بهم خطوة أخرى نبين لهم فيها أن هذا الكتاب الكريم يأبى
بطبيعته أن يكون من صنع البشر وينادي بلسان حاله أنه رسالة القضاء والقدر، حتى أنه لو وجد
مُلقىً في صحراء لايقن الناظر فيه أن ليس من هذه الأرض منبعه ومنبته وإنما كان من أفق السماء

مطلعه ومهبطه

إذن هذه قضية مهمة وهي أن التكامل في أدلة النبوة لا يقتصر على التكامل بين المجموعات أو بين الأنواع
وإنما التكامل في أفراد الدليل الواحد أيضاً وهذا يفيدك في النقاش، فإنك إذا أردت أن تثبت أن النبي
صلى الله عليه وسلم مثلاً حدث بأخبار الغيب ووقعت هذه الاخبار فإنك قد تنازع في بعض هذه
الأفراد ولو من باب الجدل واللدن في الخصومة وليس من باب الاعتراض السليم فالمطلوب ألا تستغرق في
فرد من أفراد هذه الأدلة، قل لمخالفك لتجاوز هذا الدليل الذي تمت المماحكة فيه واللدن فيه وإنما
هناك أفراد أخرى تثبت هذا المعنى فطريقي إلى إثبات ذلك لا ينحصر في دليل واحد أو في فرد واحد
من أفراد الأدلة

وهذه قضية في غاية الأهمية وحصلت لي تحديداً في الحقيقة مع شخص كما تناقش طويلاً في دلالة آيات
قول الله تعالى:

(الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون)

كان يماحك في ذلك في عدم دلالة ذلك على الأخبار الغيبية وأنها هل هي غُلبت الروم أم غُلبت الروم والتاريخ وما إلى ذلك وهذه كلها مجادلات عقيمة حقيقة ولكن حين أطال الأمر فيها تجاوزنا القضية إلى أن هناك أشياء كثيرة، ومن لطيف ذلك ما جاء في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "ولتُركن القلاص فلا يُسعى عليها" الإبل لا يسعى عليها يعني ستترك في يوم من الأيام كما في حالنا هذا في يومنا هذا الذي تركت فيه الإبل وصارت وسائل التنقل وسائل حديثة من السيارات والقطارات والطائرات ونحوها

على كل حال أفراد الإخبار بالغيب كثيرة جداً

كما أننا نبه إلى أن التنوع في أفراد الدليل الواحد في باب أخبار الغيب لا يقتصر على الغيب المستقبل وإنما أيضاً يرجع إلى الغيب الماضي وهذه قضية في غاية الأهمية بل هي من أشرف أبواب الاستدلال على النبوة، وهذا باب كبير لا يسع مقام هذه المحاضرة المختصرة للولوج فيه والحديث فيه فيما يتعلق بتراث أهل الكتاب ومدى موافقته لأهل الكتاب في كثير من القضايا ثم مخالفته إياهم في جزء من بعض هذه القضايا ثم يثبت أن هذا الجزء كان خاطئاً عندهم وتم تصحيحه وصدق هذا التصحيح بشيء من الواقع أو بشيء من الكشوفات التاريخية فكيف يمكن أن يقع هذا التصحيح ولا يكون في تلك المرحلة أي شيء من مثل هذا والرسول صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب . . . الخ من القضايا

المسألة الخامسة

أن التكامل في أفراد الأدلة وأنواعها يقتضي أن ننظر في قرائن الأحوال المصاحبة للدليل والقرائن مختلفة منها قرائن زمانية ومنها قرائن راجعة إلى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم ومنها قرائن راجعة إلى طبيعة ذلك العصر، وهذا أمر في غاية الأهمية فالتكامل والتنوع يقتضي أن ننظر في مجموع الحال وليس فقط في مجموع الأدلة، نحن تكلمنا عن مجموع الأدلة قبل قليل وقلنا إنها أنواع والنوع تحته أفراد فلننظر في التكامل في الأفراد ثم ننظر في التكامل في المجموعات أو في الأنواع

هنا أيضاً التكامل في ملابسات الأحوال يعني يجب حين ننظر لكل هذه الأنواع من الأدلة أن نعرف أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب هذه قضية مركزية في باب التكامل وكذلك ننظر مثلاً في قضية أنه لم تكن هناك نسخ مترجمة من الكتب السابقة بالعربية في تلك المرحلة وهكذا . . أقصد مثلاً على سبيل التحديد الكتاب المقدس هذا لم تكن نسخة عربية منه في تلك المرحلة، طبيعة أحوال اليهود وما كانوا يعتقدون طبيعة أحوال النصارى وما كانوا يعتقدون في تلك المرحلة هي أيضاً قرائن معتبرة ومحكمة في هذا المجال فيتم التكامل الحقيقي بالنظر في أنواع الأدلة وأفرادها وبالنظر كذلك في ملابسات الأحوال الزمانية والأحوال الشخصية

المسألة السادسة

هي قضية مهمة وقد أشرت إليها قبل قليل لكن أفردتها لأهميتها وهي أن القول بضرورة التكامل بين أنواع الأدلة وبين أفرادها لا يعني أن اليقين لا يتحقق إلا بالتكامل، هذه قضية مهمة فإن اليقين في صدق نبوة

النبي صلى الله عليه وسلم قد يتحقق لأناس من فرد واحد من أفراد الأدلة وقد يتحقق لأشخاص من عدد محدود من أفراد الأدلة من نوع واحد وقد يتحقق لأشخاص من مجموع أفراد نوع واحد وقد يتحقق لأشخاص من عدد من الأنواع

هذا راجع إلى طبيعة الشخص الذي قد ينزع إلى الطبيعة الشكاكة وهذه الطبيعة أعني أنها تكون تأثرت بفساد معتقد الإنسان بفساد نظره بكثرة الشبهات التي أثرت حوله فهنا قد يظل شاكاً متردداً متحيراً مضطرباً حتى إذا تكاثرت الأدلة على ذلك فإنها تفيد اليقين

المسألة السابعة

أن كثرة الأدلة في باب النبوة راجع إلى عظم هذا المقام، مقام النبوة عظيم وكلما عظم المقام الذي يحتاج إليه الإنسان في باب وجوده في باب الحكمة من وجوده فإن الله سبحانه بحكمته وعدله ورحمته ينوع الطرق الموصلة إلى معرفة هذا المقام وفي ذلك يقول ابن تيمية عبارة جميلة جداً في درء التعارض، يقول: كلما كان الناس أحوج إلى معرفة الشيء فإن الله يوسع عليهم دلائل معرفته كدلائل معرفة نفسه ودلائل نبوة رسوله ودلائل ثبوت قدرته وعلمه وغير ذلك فإنها دلائل كثيرة قطعية

المسألة الثامنة

هي مركبة معرفة النقل وقوانينه وعلم الحديث في إحسان باب التكامل في دلائل النبوة وتنوعها . .

معرفتنا بأفراد الأدلة التي ضمن النوع وبالتالي معرفتنا بالأنواع كثير منها متعلق بإثبات صدق النقل ولا أعني بالنقل هنا النقل الذي يدل مباشرة على أن محمداً رسول من عند الله أعني من باب الخبر المجرد، لا أعني بالنقل مثلاً قول الله تعالى : (محمد رسول الله) وإنما أعني النقل الذي نحن نستدل به على مثلاً كمال أخلاقه أو نستدل به على وقوع المعجزات والآيات أو نستدل به على الأخبار الغيبية ، كما ترون العقل هنا يستدل بذلك على صدق النبوة ولكنه يتذرع بالنقل ويتوسل بالنقل ليصل إلى النتيجة

فهنا لابد من إتقان قوانين النقل ومعرفتها وإثبات إمكانية التوصل إلى ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم وما كان فيه وما قيل فيه ومعرفة صدق ذلك لأنه أساسي ومركزي في مناقشة المنكرين، ومع أن المنكرين لا ينفكون من أن يشبوا النقل فيما يوافق أهواءهم فلا تكاد تجد أحداً من المنكرين المشككين في شخص النبي صلى الله عليه وسلم إلا وهو يتوسل إلى ذلك بشيء من النقل ولو كان غير صحيح وفي نفس الوقت تجدهم ينكرون كثيراً من النقل الذي ثبت كمال أحوال النبي صلى الله عليه وسلم

هذا تناقض ينبغي التنبيه إليه ولكن في نفس الوقت يحتاج المحاور المناقش الجادل لهؤلاء أن يكون على درجة من المعرفة بقوانين النقل وإثبات صحتها ليس فقط صحة النقل وإنما صحة هذه القوانين حتى إذا نظر أو جادل في هذه القضية يكون قادراً على الرد على ما يثار من سؤال يشكك في النبوة .

وكذلك المعرفة بقوانين علم الحديث هي تفيد الإنسان يقيناً قبل أن تفيد قدرة وآلة وجودة في النقاش والجدل، فاليقين الذي يتحقق لمن يعرف أحوال الرواة وصدقهم ومن الذي يمثل الدرجة العالية منهم في الإتقان ومن الذي يمثل درجة منخفضة في الإتقان ثم ينظر في أحوال الأسانيد والرواة وما نقلوا وبناءً على ذلك يعرف مقدار صحة ما قيل ويعرف درجات الصحة ، الصحة ليست درجة واحدة لا أعني بذلك

الاكتفاء بالعبارات العامة أعني مثلاً البخاري ومسلم أصح من البخاري مفرداً ثم البخاري مفرداً أصح من مسلم . . . وهكذا، إنما أعني المعرفة التفصيلية بأحوال النقل والنقلة ، هذا الذي يعرف معرفة تفصيلية ثم ينظر في الأخبار التي نقلت عن صدق النبي صلى الله عليه وسلم وكماله والآيات التي تحققت له وكذلك ما يتعلق بأخبار الغيب ونحو ذلك فإنه يحصل له من تمام اليقين وجمال المعرفة ربما لا يحصل لغيره أو لكثير ممن يفتقد هذا المعنى على الأقل هذا التذوق الجمالي بأن المعرفة التفصيلية تفيد من حسن التصور وحسن الاعتقاد ما لا تفيده المعرفة الإجمالية وإن كان كلاهما يمكن أن يفيد اليقين

المسألة التاسعة

ينتج مما ذكرنا في هذه المحاضرة خطأ من يبحث في دلائل النبوة عما يتعلق بالعصر الحديث فقط أو بمعطيات العصر الحديث فإن قضية النبوة أكبر وأعظم وأشرف من ذلك بكثير، هناك من المسلمين من يبحث في دلائل النبوة عما يرتبط بنوع أو بآخر بالمكتشفات العلمية في باب ما يعرف بالإعجاز العلمي ونحو ذلك وهذا لا شك أن منه ما هو صحيح يفيد دلالة أو يكون فرداً من أفراد الأدلة،

ولكن قضية النبوة أكبر وأعلى وأجل من ذلك ، لذلك فإن غرس قضية انحصار النبوة في باب الإعجاز العلمي عند بعض عوام المسلمين أو عند بعض المشتغلين بهذا الباب لا شك بأن هذه قضية خطيرة وأن الباب أكبر من ذلك بكثير وباب إعجاز القرآن نفسه كتب فيه علماء المسلمين كثيراً قبل المكتشفات العلمية الحديثة فهو باب في حد ذاته يتضمن قدراً من التكامل والتنوع ولا ينظر إليه باعتبار المكتشفات العلمية فقط وإنما ينظر إليه باعتبار عجز العرب عن مجاراته وعن مماثلته وما فيه من أنواع البيان والبلاغة

ونحو ذلك على ما هو موضح في كتب الإعجاز ككتاب الخطابي وكتابي الجرجاني وكتاب الباقلاني وغيرها من الكتب التي تحدثت عن هذا التنوع والتكامل في باب إعجاز القرآن فضلاً عن أن يكون التنوع والتكامل في باب النبوة والذي يعتبر إعجاز القرآن هو واحد من أنواع الأدلة الدالة على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم

المسألة العاشرة والتي نختم بها هذه المحاضرة هي

ضرورة التنبيه إلى خطأ بعض الطوائف الإسلامية في حصر دلائل النبوة في المعجزة وهذا أمر تمت الإشارة إليه ولكنه أمر مهم ويتأثر به بعض أفراد المجادلين والمخاورين في باب أصول الإسلام دون أن يشعروا ولذلك يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى في الاستدلال على النبوة بالمعجزات يقول في شرح الأصفهانية :

هذه الطريقة هي من أشهر الطرق عند أهل الكلام والنظر حيث يقررون نبوة الأنبياء بالمعجزات

طيب هل هذا صحيح ؟ يقول:

ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح لتقرير نبوة الأنبياء لكن كثيراً من هؤلاء بل كل من بنى إيمانه عليها يظن أنه لا تعرف نبوة الأنبياء إلا بالمعجزات والتزم كثير من هؤلاء إنكار خوارق العادات لغير الأنبياء حتى أنكروا كرامات الأولياء والسحر ونحو ذلك، ومن لم يجعل طريقها إلا المعجزة اضطرت هذه الأمور التي فيها تكذيب لحق أو تصديق لباطل ١. هـ

وهذا وضع للنقاط على الحروف المعجزات دليل صحيح لكنها ليس الدليل الوحيد ويقول بعد صفحة

واحدة تقريباً ، الكلام السابق كان صفحة ٥٣٧_ ٥٣٨ وهنا صفحة ٥٣٩

يقول : معرفتها بغير المعجزات ممكنة فإن المقصود إنما هو معرفة صدق مدعي النبوة أو كذبه والتمييز بين

الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما هو دون دعوى النبوة فكيف بدعوى النبوة ، ومعلوم أن مدعي

الرسالة إما أن يكون من أفضل الخلق وأكملهم وإما أن يكون من أنقص الخلق وأرذلهم

كيف يشته أفضل الخلق وأكملهم بأنقص الخلق وأرذلهم . هـ

وقد صاغ هذا الكلام أبو العز في شرح الطحاوية فقال:

من المعلوم أن النبوة إنما يدّعيها أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل

الجاهلين

وفي الختام أحب أن أقول إن الذي ينظر إلى هذا الموضوع بذكاء ويحسن عرضه كما قلت في أول الأمر

فإنه يذهل المخالف ، ومن كلمة يذهل أتذكر البروفسور الكندي غاري ميلر الذي كتب كتاب القرآن

المذهل وهو كتاب صغير الحجم وله مقطع أو مقاطع في اليوتيوب في النبوة

لو تكتبون دلائل النبوة غاري ميلر

فقد كان مذهلاً حقيقة هو أيضاً في عرضه لدلائل النبوة من باب التكامل وقد مارس الذي أشرت إليه في

البداية وهو ذكر الاحتمالات فذكر قولهم إنه كاذب وقولهم إنه مجنون أو أنه مخدوع وأتى بهذه الاحتمالات

ثم ذكر أفراداً من الأدلة التي كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم المحيطة بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم وكيف أنها لا تنزل لا على الكاذب ولا على المجنون ولا المخدوع فضلاً عن أن تنزل على شخص واحد يجمع هذه الصفات المتناقضة وإنما لا تنزل إلا على نبي لكنه لم يفصل في ذلك تفصيلاً كبيراً يرجع إلى أصول الأنواع

فأرجو أن يتم الاهتمام بهذه القضية قضية التنوع والتكامل وهي ليست خاصة باب النبوة كذلك وإنما تجدها في الأمور العظام القضايا الكبار الشرعية المتعلقة بأصول الإسلام التي ينوع الله طرق المعرفة بها هذا يقال كذلك في باب الوجود الإلهي لله سبحانه وتعالى وباب كماله فإن طريق معرفة ذلك لا ينحصر في نوع واحد من أنواع الأدلة وكثير من المباحكات التي تحصل والتشكيكات إنما تحصل في إثارة الشغب على فرد من أفراد الأدلة أو على نوع من أنواع الأدلة المثبتة لوجوده سبحانه وتعالى فإذا نظر الناظر إلى مجموع الأدلة وتكاملها ثم طعن بهذا المجموع في نحر أولئك المنكرين فإنه سيجد أنه يبلغ فيهم الطعن وينفذه لأن الإشكال لا يثار إلا على بعض أفراد الأدلة

وأسأل الله سبحانه في ختام هذه المحاضرة أن ينفع بها وأن يتقبل مني ومنكم صالح العمل وأن يتجاوز

عنا السيئات والزلل

واللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد .